حديث: سؤال الجارية: ((أين الله؟)) والإشكالات الواردة عليه

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

خلاصة—هذا البحث يبحث في حديث: سؤال الجارية: ((أين الله؟)) والإشكالات الواردة عليه.

الكلمات الافتتاحية: حديث، سؤال الجارية، أين الله؟، الإشكالات الواردة عليه.

I. *المقدمة*

التعرف على حديث: سؤال الجارية: ((أين الله؟)) والإشكالات الواردة عليه.

II. موضوع المقالة

تخريج الحديث: فمن الأحاديث أيضًا التي أشكلت على بعض الناس حديث سؤال الجارية: أين الله؟ ونصه : عن معاوية بن الحكم السلمي قال : ((كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ε فعظم ذلك علي. قلت: يا رسول الله ! أفلا أعتقها؟ قال : ائتني بها، فأتيته بها، فقال لها : أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها، فإنها مؤمنة)).

رواه مسلم في صحيحه، واللفظ له وأبو داوود، والنسائي في سننيهما، وأحمد في مسنده ومالك في موطئه، والبيهقي في (السنن الكبرى).

وجه الإشكال في الحديث : استشكلوا هذا الحديث بناء على معتقداتهم الباطلة، حيث توهموا أن إثبات العلو لله تعالى يوجب تشبيه الله تعالى بالمخلوقين.

وذلك أنه يقتضي التحيز المستلزم للتجسيم كما توهموا، وزعموا أن كون هذه الجارية كانت عامية لا تفقه معنى التجسيم، اكتفى منها النبي ε قولها: ((في السماء))، وحكم بإيمانها مخافة أن تقع في التعطيل، لقصور فهمهما عما ينبغي له من تنزيهه مما يقتضي التشبيه.

ومضمون كلامهم هذا يقتضي أن قولها : ((في السماء)) ليس حقًّا في نفس الأمر، ولكن قبل منها ذلك مجاملة لها، مخافة أن تقع في التعطيل.

وهذا الكلام لو تأمله قائله، وفكر قبل أن يتفوه به؛ لعلم أن فيه طعنًا ظاهرًا في رسول الله ε حيث لم يبين لها، ويصحح معتقدها الفاسد الذي يدعيه المعطلة.

ولكن هذا ديدنهم؛ حيث لا يتورعون عن أي كلام في سبيل إنقاذ معتقدا تهم من التحريف والتعطيل.

واعلم بأن إثبات العلو لله تعالى بذاته على خلقه، واستواءه على عرشه هو اعتقاد السلف جميعًا من الصحابة والتابعين، ومن تعبهم بإحسان، إلا من زاغ وحاد عن هديهم، وسلك طريقًا غير سبيلهم.

وهو اعتقاد: مالك، والشافعي، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وَهُوَ اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التستري، وغيرهم، فإنّه لَيْسَ بَيْنَ هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع فِي أصول الدين.

وكذلك أبو حنيفة -رحمة الله عَلَيهِ- فإنّ الاعتقاد الثابت عَنْهُ فِي التوحيد والقدر ونحو ذَلِكَ موافق لاعتقاد هؤلاء.

واعتقاد هؤلاء هُوَ مَا كَانَ عَلَيهِ الصّحابة والتّابعون لهم بإحسان، وَهُوَ مَا نطق بِهِ الكتاب والسنة.

أخرج البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد): قال ضمرة بن ربيعة عن صدقة، سمعت سليمان التيمي يقول : لو سُئِلت أين الله؟ لقلت : في السماء، فإن قال : فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت : على الماء، فإن قال : فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت : لا أعلم.

قَالَ الشافعي فِي أوّل خطبة (الرّسالة): الحمد لله الَّذِي هُوَ كَمَا وصف بِهِ نفسه، وفوق مَا يصفه بِهِ خلقه. فبيّن -رحمه الله- أنّ الله موصوف بِمَا وصف بِهِ نفسه فِي كتابه، وعلى لسان رسوله ε.

وكذلك قَالَ أحمد بن حنبل: "لاَ يوصف الله إلاَّ بِمَا وصف بِهِ نفسه، أَوْ وصفه بِهِ رسوله ε من غير تحريف وَلاَ تعطيل، ومن غير تكييف وَلاَ تمثيل، بل يثبتون لَهُ مَا اثب ته لنفسه من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، ويعلمون أَنَّهُ لاَ فِي صفاته، وَلاَ فِي ذاته، وَلاَ فِي أفعاله.

وسؤال الجارية المعروف : ((أين الله؟)) وقولها: ((فِي السّمَاء))، لَيْسَ فيه أنّ الله فِي جوف السّمَاء، وأنّ السّمَاوَات تحصره وتحويه، فإن هَذَا لَمْ يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ بل هم متفقون عَلَى أنّ الله فَوْقَ سماواته، عَلَى عرشه، بائن من خلقه؛ لَيْسَ فِي مخلوقاته شيء من ذاته، وَلاَ فِي ذاته شيء من مخلوقاته.

وَقَدْ قَالَ مالك بن أنس: "إن الله فَوْقَ السماء، وعلمه فِي كلّ مكان".

فمن اعتقد أنّ الله فِي جوف السّمَاء محصور محاط به، وأنّه مفتقر إِلَى العرش، أَوْ غير العرش من المخلوقات، أَوْ أنْ استواءه عَلَى عرشه كاستواء المخلوق عَلَى كرسيّه، فَهُوَ ضال مبتدع جاهل.

ومن اعتقد أنّه لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَات إله يعبد، وَلاَ عَلَى العرش ربّ يصلّى لَهُ ويسجد، وأنّ محمدًا ε لَمْ يعرج بِهِ إِلَى ربّه، وَلاَ نزل القرآن من عنده، فَهُوَ معطّل فرعوني، ضال مبتدع، وقال- بَعْدَ كلام طويل- والقائل الَّذِي قَالَ: "من لَمْ يعتقد أنّ الله فِي السّمَاء فَهُوَ ضال، إن أراد بذلك من لاَ يعتقد أنّ الله فِي جوف السّمَاء، بحيث تحصره وتحيط بِهِ، فَقَدْ أخطأ.

وإن أراد بذلك من لَمْ يعتقد مَا جاء بِهِ الكتاب والسنة، واتفق عَلَيهِ سلف الأمة وأئمتها، من أنّ الله فَوْقَ سماواته عَلَى عرشه، بائن من خلقه: فَقَدْ أصاب، فإنه من لَمْ يعتقد ذَلِكَ يكون مكذبًا للرسول ε متبعًا لغير سبيل المؤمنين؛ بل يكون فِي الحقيقة معطّلا لربّه نافيًا لَهُ؛ فَلاَ يكون لَهُ فِي الحقيقة إله يعبده، وَلاَ ربّ يسأله، ويقصده.

والله قَدْ فطر العباد، عربهم وعجمهم، عَلَى أنّهم إذَا دعوا الله توجّهت قلوبهم إِلَى العلوّ، وَلاَ يقصدونه تحت أرجلهم . ولهذا قَالَ بعض العارفين : مَا قَالَ عارف قط: يَا الله!! إلاَّ وجد فِي قلبه -قبل أنْ يتحرّك لسانه- معنى يطلب العلو لاَ يلتفت يمنة وَلاَ يسرة.

ولأهل الحلول والتعطيل فِي هَذَا الباب شبهات، يعارضون بِهَا كتاب الله وسنة رسوله ε وَمَا أجمع سلف الأمة وأئمتها؛ وَمَا فطر الله عَلَيهِ عباده، وَمَا دلّت عَلَيهِ الدلائل العقلية الصحيحة؛ فإن هَذِهِ الأدلّة كلّها متفقة عَلَى أنّ الله فَوْقَ مخلوقاته، عالٍ عَلَيْهَا، قَدْ

فطر الله عَلَى ذَلِكَ العجائز والصبيان والأعراب فِي الكتاب كَمَا فطرهم عَلَى الإقرار بالخالق تَعَالَى. وَقَدْ قَالَ ع فِي الحديث الصحيح: ((كلّ مولود يولد عَلَى الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أَوْ ينصّرانه، أَوْ يمجسانه، كَمَا تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هَلْ تحسّون فِيهَا من جدعاء؟)) ثُمَّ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم.

وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز : " عليك بدين الأعراب والصبيان فِي الكتاب، وعليك بِمَا فطرهم الله عليه، فإن الله فطر عباده عَلَى الحق، والرّسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لاَ بتحويل الفطرة وتغييرها".

وأمّا أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية ونحوهم، فيريدون أَنْ يغيّروا فطرة الله، ويوردون عَلَى النَّاس شبهات بكلمات مشتبهات، لاَ يفهم كثير من النَّاس مقصودهم بها، وَلاَ يحسن أَنْ يجيبهم . وأصل ضلالتهم تكلّمهم بكلمات مجملة مشكلة، لاَ أصل لَهَا فِي كتابه، وَلاَ سنّة رسوله ع، وَلاَ قالها أحد من أئمّة المسلمين، كلفظ التحيّز والجسم، والجهة ونحو ذَلِكَ. فمن كَانَ عارفًا بحل شبهاتهم وإشكالاتهم بينها، ومن لَمْ يكن عارفًا بذلك فليعرض عَنْ كلامهم، وَلاَ يقبل إلاَّ مَا جاء بِهِ الكتاب والسنّة.

ومن يتكلّم فِي الله وأسمائه وصفاته بِمَا يخا لف الكتاب والسنّة، فَهُوَ من الخائضين فِي آيات الله بالباطل. وكثير من هؤلاء ينسب إِلَى أئمّة المسلمين مَا لَمْ يقولوه : فينسبون إِلَى الشافعي، وأحمد بن حنبل، ومالك، وأبي حنيفة من الاعتقادات مَا لَمْ يقولوا، ويقولون لمن تبعهم : هَذَا اعتقاد الإمام الفلاني، فَإِذَا طولبوا بالنّقل الصحيح عَنْ الأئمة تبيّن كذبهم. وقد تواترت النصوص الشرعية معنًى ولفظًا فِي إثبات العلوّ المطلق لله رب العالمين بكل معانيه، دون تعطيل أو تأويل، وهذا اعتقاد سلف الأمة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، من علماء الحديث، والتفسير، والفقه، وا لأصول، والسيرة، والتاريخ، والعربية والأدب، وغيرهم.

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.
٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.
٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. الزركشي، بدر الدين الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، المدينة المرورة، مكتبة الدار السفلية، ١٤٠٥هـ.
٦. بن منبه، همام بن منبه، صحيفة همام بن منبه، شرح وتحقيق : رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.
٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبه، محمد بن محمد أبو شهبه، دفاع عن السنة، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم،١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.